الجامعة الإسلامية مينسوتا
Islamic University of Minnesota
الفرع الرئيس

# شرح العقيدة الواسطية

## د/ أبوبكر الصديق عمر الفاروق القاضي

باحث دكتوراة السنة النبوية



abobakrelkady AboBakr Elkady
www.abobakrelkady.net KonnashatElkady

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

بسم الله، والصلاة والسلام على رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ثم أما بعد:-

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار ثم أما بعد :-

فهذا هو المجلس الثاني من هذه الدورة المباركة، وهي دورة شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى.

وقد تناولنا بعضًا من قواعد الأسماء والصفات، وقواعد أهل السنة والجماعة في الاهتمام بأمر الاعتقاد وأهمية علم الاعتقاد وعلم التوحيد، وكذلك تقسيم التوحيد إلى نوعين :

١. **التوحيد الاعتقادي الخبري**: الذي يُسميه أهل العلم توحيد المعرفة والإثبات، والذي يتضمن توحيد الأسماء والصفات وتوحيد الربوبية.
٢. **والنوع الثاني: هو توحيد الطلب** أوالقصد والطلب، أو توحيد العبادة ، أو توحيد الألوهية.

والأول: اعتقادي خبري، أن يعتقد فيه الإخبار عن الله عز وجل، فنعتقدُها ونوقن فيها، وهذا لا شك أنه أصل العمل، ثم بعد ذلك يترتب عليه أعمال القلوب الذي يدخل في مضمار توحيد الألوهية -وهو توحيد العبادة من أعمال القلوب وأعمال الجوارح.

فتوحيد الله بأسمائه وصفاته، وتوحيد الأسماء والصفات، وتوحيد الربوبية، وتوحيد الله بأفعال الله، وتوحيد الألوهية؛ هو توحيد الله بأفعال العباد.

وقد ذكرنا طرفًا من عقيدة أهل السنة والجماعة في الأسماء والصفات: وهي أننا نؤمن بكل ما وصف الله به نفسه، ووصفه به رسوله -صلى الله عليه وسلم- من غير تعطيل، ولا تحريف، ولا تكييف، ولا تمثيل.

وذكرنا معاني التعطيل، ومستويات هذا التعطيل ما بين الفلاسفة وما بين أصحاب الحلول والاتحاد، وكذلك الجهمية، والمعتزلة، والأشاعرة.

وذكرنا نوعي التحريف: التحريف اللفظي، والتحريف المعنوي.

وذكرنا التحريف المعنوى وهو يشمل التأويل المذموم: وهو صرف اللفظ عن ظاهره إلى معنى محتمل مرجوح بغير دليل. أما إن كان بدليل؛ فلن يكون تأويلًا مذمومًا، وإنما سيكون تفسيرًا.

فإن من معاني التأويل التفسير، ومن معاني التأويل أيضًا عاقبة الأمر وتحقيقه.

- {هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُؤۡيَايَ} [يوسف:١٠٠].

وكذلك من معاني التأويل: تطبيق الأوامر والنواهي.

- كان صلى الله عليه وسلم يقول في ركوعه: "سبحانك اللهم ربنا وبحمدك"، حين نزل قوله تعالى:{فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا} [النصر:٣].

كما قالت عائشة: "يتأول القرآن ".

فهذه المعاني العامة للتأويل:

- التفسير.
- ووقوع الأمر في المآل.
- و كذلك الإتمار بالأمر والانتهاء عن النهي، **هذا التأويل غير مذموم.**

.

**أما التأويل المذموم:** فهو صرف اللفظ عن ظاهره إلى معنى محتمل مرجوح بغير دليل .

- وذكرنا معنى التكييف، والفرق بينه، وبين التمثيل.
- وذكرنا أن اليهود والنصارى غارقون في هذا التشبيه -تشبيه الله عز وجل بخلقه.
- وكذلك الكرّامية الذين يشبهون الله تبارك وتعالى في صفاته بصفات خلقه .
- وذكرنا نوعي الشرك وهو: إما تشبيه الخالق بالمخلوق، أو تشبيه المخلوق بالخالق، أو رفع مرتبة المخلوق إلى الخالق بالغلو؛ وهذا هو أصل الشرك الذي وقع فيه البشر وهو الغلو في الصالحين، وتشبيه الله بالمخلوق.

فهذا الذي وقع فيه -كما ذكرنا- اليهود والنصارى وغيرهم من الفرق النارية.

ونحن نثبت لله -عز وجل- أسمائه وصفاته بالمعاني اللائقة به عز وجل بجماله، وجلاله، وكماله نثبت المعاني اللائقة به مع نفي التمثيل، والتشبيه، والتكييف.

- {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ } [الشورى:١١].

- وذكرنا أن آيات الصفات هي محكمة من ناحية المعنى، ومتشابهة من ناحية الكيفية، فالاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة، فنحن نفوض الكيف لله تبارك وتعالى.

بمعنى: أنه لا شك أن لصفات الله كيفًا ولكننا لا نحيط به لقوله عز وجل:

- {وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا} [طه:١١٢].
- وكذلك قوله تعالى: {لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ} [الأنعام:١٠٣].

- وبدأنا وشرعنا في تفسير بعض آيات الصفات التي تضمنت الإثبات والنفي: فتضمنت الإثبات للمعاني اللائقة بالله عز وجل، والنفي لكل العيوب والنقائص في سياق الإثبات.

فالنفي وحده ليس مدحًا، وإنما يكون النفي مدحًا إذا كان في سياق إثبات الصفة اللائقة بالله تبارك وتعالى.

- ومن ذلك قوله تعالى: {وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ} [الفرقان:٥٨] وكيف أن نفي الموت هنا كان في سياق إثبات الله الحياة.

- وكذلك قوله تعالى: {لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ *وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ} [الإخلاص:٣-٤] في سياق إثبات الوحدانية والصمدية لله تبارك وتعالى.

- وذكرنا أننا نتدارس الأسماء والصفات، ليس فقط للرد علي الشبهات.

{وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ} [الأعراف :١٨٠] فالأصل هو تركهم والإعراض عنهم.

ومعاني الإلحاد: هو الميل عن الحق بكل تفاصيله وكل مظاهره: من التعطيل، والتحريف، والتكييف، والتمثيل، والتأويل المذموم، وكذلك الإشتقاق من بعض أسماء الله عز وجل أسماء للآلهة كما فعل المشركون في الجاهلية: مناة من المنان، والعُزى من العزيز، واللات من الله - تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا-.

فكلها -معاني الإلحاد- ينبغي علينا أن نعرفها، لا المقصود هو أن نعرفها فقط بل لا.

عَرَفتُ الشَرَّ لا لِلشَر

ولَكِن لِتَوَقّيهِ

وَمَن لَم يَعرِفِ الشَرَّ

مِنَ الخَيرِ يَقَع فيهِ

[أبو فراس الحمداني].

فنحن نتعلم ذلك لنجتنبه.

ولكن ليس هذا فقط هو المقصود من دراسة توحيد الأسماء والصفات، وإنما المقصود الأسمى من ذلك هو: - معرفته بجلاله وجماله وكماله؛ لاستخراج من قلبك معاني العبودية لله عز وجل حبًا وشوقًا، وإخلاصًا ويقينًا، ورغبة ورهبة، وخوفًا ورجاء، وانكسارًا وافتقارًا، وإقبالًا وأنسًا بالله تبارك وتعالى واستكانة لأوامره وانقيادًا لها، وتسليمًا لأوامره الكونية والشرعية، ورضا به وعنه عز وجل، هذا هو حقيقة المقصود من دراسة الأسماء والصفات.

فنحن نتعلم الضوابط الكلية لدراسة هذا الأمر ليس فقط لنكتفي بهذه الضوابط وإنما لنستصحب هذه الضوابط في إثبات ما يليق بالله تبارك وتعالى، ونفي ما لا يليق به تبارك وتعالى -كما ورد عنه في كتابه وسنة رسوله- صلى الله عليه وسلم- ثم استخراج المعاني هذه والنظر في آثارها في الأنفس، وفي الآفاق، وفي الوجود، وفي الخلق وفي الأمر والتعبد لله تبارك وتعالى بمقتضاها.

فقوله صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وتِسْعِينَ اسْمًا مِئَةً إِلَّا واحِدًا، مَن أحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّةَ" [صحيح البخاري].

الإحصاء: بمعنى الحفظ، وبمعنى الفهم، وبمعنى أن يطيقها قلبه بأن يشهد آثارها في الأنفس، وفي الآفاق، وفي الوجود، وفي الخلق، وفي الأمر والتشريع، وأن يتعبد الله تبارك وتعالى بها وأن يدعو الله بها.

بلغنا إلى قوله تبارك وتعالى: {هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} [الحديد:٣].

وقد ورد تفسير هذه الأسماء في حديث النبي -صلى الله عليه وسلم- حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي -صلى الله عليه وسلم- كان إذا أتى مضجعه يقول: "اللَّهمَّ ربَّ السَّمواتِ السَّبعِ وربَّ العرشِ العظيمِ ربَّنا وربَّ كلِّ شيءٍ أنتَ الظَّاهرُ فليس فوقَكَ شيءٌ وأنتَ الباطنُ فليس دونَكَ شيءٌ، أنتَ الأوَّلُ فليس قبْلَكَ شيءٌ وأنتَ الآخِرُ فليس بعدَكَ شيءٌ اقضِ عنَّا الدَّينَ وأَغْنِنا مِن الفقرِ" [صحيح ابن حبان].

فهو عز وجل الأول الذي ليس قبله شيء، كان الله ولم يكن شيء معه، كان الله ولم يكن شيء قبله ، وهو الآخر الذي ليس بعده شيء.

- {كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ} [الرحمن:٢٦-٢٧].
- {كُلُّ شَيْءٍ هالِكٌ إلّا وجْهَهُ لَهُ الحُكْمُ وإلَيْهِ تُرْجَعُونَ} [القصص:٨٨]

فهو الآخر: {وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ} [النجم:٤٢].

وهو الظاهر، المعنى: العلي تبارك وتعالى، وهو علو الذات، وعلو الشأن، وعلو القهر.

- {وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ} [الأنعام:١٨]

وهو الباطن ليس دونه شيء، أي يعلم كل شيء تبارك وتعالى .

- {وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ} [الأنعام:٥٩].
- {وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ} [يونس:٦١].

لا تحجبه سماء عن سماء، ولا أرض أرضًا، ولا بحر ما في قعره، ولا جبل ما في وعره.

السر عنده علانية، ولا تخفى عليه خافية.

- {هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} [الحديد:٣]

وابن القيم- رحمه الله- له كلام رائق جدًا في التعبد بهذه الأسماء الأربعة في كتابه: طريق الهجرتين.

**ولنا شرح عليه مسجل، هذا لم يكتمل طبعًا -طريق الهجرتين-، ولكن هذه التسجيلات فيها شرح هذه الأربعة أسماء في عبودية المقتصدين، وعبودية السابقين إلى الله عز وجل.

قوله: {وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيم}

**فهو العليم**: العالم العلام، علم ما كان، وما سيكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون.

هو تبارك وتعالى العليم عز وجل، عالم الغيب والشهادة، عالم الكُليات والجزئيات، والماضي والحاضر والمستقبل، والممكنات والمستحيلات، علمه محيط بكل شيء.

**وهو الحكيم** تبارك وتعالى أي: الذي يضع الشيء في موضعه تبارك وتعالى.

وكذلك الحكيم الذي يتقن كل شيء - المحكم هو المتقن، وكذلك الأمر فيه حكمة أي أن هذا الأمر وضع في موضعه المناسب.

قال: "وهو {الْعَلِيمُ الْخَبِير}.

**والخبير**: هو الإتقان في العلم. الخبرة هنا بمعنى الإتقان في العلم.

قال تعالى: {يَعْلَمُ ما يَلِجُ فِي الأَرْضِ وما يَخْرُجُ مِنها وما يَنْزِلُ مِنَ السَّماءِ ومايَعْرُجُ فِيها} [سبأ:٢]

{وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ} [هود:٦].

{وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} [الأنعام:١٣].

{لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ} [سبأ:٣]

قال تعالى: {وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْب} [الأنعام:٥٩].

ومفاتح الغيب هي الخمسة التي ذكرت في قوله عز وجل: {إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} [لقمان:٣٤]

وهذا الغيب المطلق الذي لا يعلمه إلا الله تبارك وتعالى

قال: "{وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ} [الأنعام:٥٩].

وما غير ذلك من بعض الغيب النسبي الذي هو غيب لبعض الناس وليس غيب لغيرهم .

بمعنى ما وراء هذا الحائط هو غيب بالنسبة لي، وليس غيبًا لمن وراء هذا الحائط؛ فهذا ما نسميه بالغيب النسبي.

أما الغيب المطلق: -عنده علم الساعة، وينزل الغيث، ويعلم ما في الأرحام، وماتدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت- لا يحيط بها إلا الله تبارك وتعالى .

{إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا} [الجن:٢٧].

فهذا قد يُعلمه الله ببعض أمور الغيب ولا تكون تفصيلية؛ وإنما تكون إجمالية: كأشراط الساعة، فهذا من الغيب، ولكن متى تقع؟! لا يعلم ذلك إلا الله تبارك وتعالى.

كذلك كان النبي -صلى الله عليه وسلم- في ليلة بدر يقول : "هذا مصرعُ فلانٍ غدًا إن شاء اللهُ" [صحيح مسلم]، فهو يقول هذا مصرع فلان ولكن يعلقه على المشيئة.

فما كان تفصيليًا يعلق على المشيئة، وما كان مجملًا فإنه يبقى فيه ما يخبر به الرسول على سبيل التفصيل.

مثلًا: أن هذا مصرع فلان غدًا، يكون هذا معلق بالمشيئة. كذلك ما يعلمه الملك ما في تكوين الجنين، ما رزقه؟ ما أجله؟ أشقي أم سعيد؟ يقضي ربك ما شاء ويكتب ملك، فهو معلق أيضًا على المشيئة.

وهذا في الكتابات كما سيأتي التي فيها محو وإثبات: {يَمْحُو اللَّهُ مَايَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ} [الرعد:٣٩].

- فكل الكتابات دون اللوح المحفوظ فيها محو وإثبات معلق على مشيئة الله، وأما اللوح المحفوظ فلا محو فيه ولا إثبات -كما قال ابن عباس رضي الله عنه.

المقصود: ما أخبر به النبي -صلى الله عليه وسلم- على سبيل التفصيل، فإنه يكون معلقًا بالمشيئة، وما أخبر به من أمور غيبية أخرى؛ فإنها تكون إجمالية. بمعنى أنه يخفى عليه متى تقع هذه الأمور -كأشراط الساعة وتفاصيل أهوال القيامة وغير ذلك-، ولكن متى الساعة؟ "ما المسئولُ عنها بأعلمَ من السائلِ" [صحيح مسلم].

وكذلك قال: "وما أعْدَدْتَ لَهَا؟" [صحيح البخاري]، فوجه النبي- صلى الله عليه وسلم- إلى السؤال النافع؛ أنه لا يسأل عن موعدها وإنما يسأل عما أعد لها.

- {يَسْئَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْساها * فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْراها * إِلى رَبِّكَ مُنْتَهاهَا * إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَاهَا} [النازعات:٤٢-٤٥].
- {وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ} [الأنعام:٥٩].

كل ما في البر والبحر: ما في البر من الكائنات المرئية وغير مرئية، وما في البحر من الكائنات المرئية وغير المرئية، وكل قطرة من البحر فإنك تجد فيها آلاف من الكائنات الغير مرئية، فما بالك بأربعة أخماس الكرة الأرضية ومافيها من مستويات عميقة جدًا، وفيها كائنات لا نعلم عنها شيئًا، وفيها من القوة الهائلة والطاقة الهائلة ما لا نعلم عنه شيئًا، فضلًا عن البر ومافيه، فضلًا عن مصائر العباد وأقدارهم وأرزاقهم وتفاصيل حيواتهم وتفاصيل نبضات قلوبهم وأنفاسهم، وكلماتهم وأقوالهم، وأفعالهم وهمومهم ودوافعهم!

- {وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا} [الأنعام:٥٩] في جميع الأشجار : {وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْبَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّه} [لقمان:٢٧].

وكأن كل هذه الأشجار هي محصاة -معدة- من قبل الله تبارك وتعالى، فهذه الأشجار لو سقط من كل شجرة ورقة كم تتقلب هذه الورقة؟ وأين مستقرها في الغابات الكثيفة أو في الصحاري أين مستقرها؟ وأين مآلها ؟

{وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَارَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ} لا حي ولا ميت، ولا رطب ولا يابس، ولا جماد ولا أحياء {إِلّا فِي كِتابٍ مُبِين} [الأنعام:٥٩] كل ذلك معلوم مكتوب.

الله علم ما الخلق عاملون بعلمه القديم الموصوف ليأذن قبل أن يخلقهم، وكتب مقادير الخلائق، وشاء ما هم فاعلوه، وخلق ما هم فاعلوه.

--كما سيأتي هذا في تفصيل عقيدة أهل السنة والجماعة في القضاء والقدر.

{وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلا تَضَعُ إِلا بِعِلْمِهِ} [فاطر:١١] فكل هذا بعلم الله تبارك وتعالى .

{وَيَعْلَمُ ما فِي الأَرْحام} [لقمان:٣٤] هذا العلم ليس فقط ذكر أم أنثى -كما يظن كثير من الناس- أنه قد بلغ العلم الحديث إلى أنه بالسونار يعلم هل هو ذكر أم أنثى فهو بهذا قد علم ما في الأرحام! وإنما علم ما في الأرحام قبل أولًا أن يتخلق، وقبل وهو نطفة، ثم مضغة، ثم علقة، وخلق هذا عظامًا، وكسا العظام لحما.

كل هذا الله يعلم ما في الأرحام، ما رزقه؟ ما أجله ؟ ما عمله ؟ شقي أم سعيد ؟ فهذا العلم يشمل تفاصيل أرزاقه، وآجاله، وأعماله، ومصيره.

وقوله تعالى: {لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا} [الطلاق:١٢].

وهذا قوله عز وجل: {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا} [الطلاق:١٢].

كأن الله خلق الخليقة ليُعرف وليُعبد، وهذه حقيقة: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} [الذاريات:٥].

قال ابن عباس: "إلا ليوحدون".

فكل يوم وكل ليلة، وكل ليل وكل نهار، بل وكل نفس ودقة قلب، ولفظة ولحظة، ينبغي أن تزداد به علمًا، وله شوقًا؛ استعدادًا للقائه تبارك وتعالى، بمعرفة أسمائه وصفاته، وجماله وكماله وجلاله وأفعاله، وسننه الكونية والشرعية، وكيف يرفع ويخفض، ويعطي ويمنع، ويقبض ويبسط، ويضر وينفع، ويحيي ويميت، بيده الأمر كله وإليه يرجع الأمر كله.

- وهذه هي فائدة العلم: مزيد الخشية، مزيد الانكسار، مزيد الافتقار لله تبارك وتعالى.
- {لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا} [الطلاق:١٢].

كل المعاني التي فاتت، كل الآيات التي فاتت في إثبات العلم والخبرة والإحاطة، والقدرة والسيطرة .

وقوله عز وجل: {إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ} [الذاريات:٥٨].

والرزاق: هو الذي يرزق الخلائق، ويكسبها أرزاقها جميعًا.

- {وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ} [هود:٦].
- {إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ ۚ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا ۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [هود:٥٦].

{إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ} [الذاريات:٥٨].

فذكر القوة هنا -وهو بمعنى الشدة، وكذلك بمعنى أنه لا يعجزه شيء تبارك وتعالى، وكذلك معنى المتين وهو من معاني أيضًا القوة- ذكرها هنا لكيلا يستصعب الإنسان كيف يرزق كل هذه الخلائق في نفس الوقت، فهو يرزق من في السماوات ومن في الأرض.

- {يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ} [الرحمن:٢٩].

من شأنه يفرج كربًا، يغفر ذنبًا، يفك عانيًا، ينصر مظلومًا، يؤتي الملك لمن يشاء، ينزع الملك ممن يشاء، يعز أقوامًا، يذل آخرين.

قال: "{لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ} [الشورى:١١].

هو تبارك وتعالى -كما ذكرنا- لا سمي له، ولا ند له، ولا عدل له، ولا كفء له، ولا مثيل له، ولا شبيه له، ولا شريك له، ولا ظهير له، ولا معاون له، ولا وزير له، ولا شفيع عنده إلا بإذنه تبارك وتعالى.

فنحن ننزهه تبارك وتعالى عن كل هذه المماثلة والمشابهة، ونثبت المعاني اللائقة به عز وجل في السمع والبصر وهو السميع البصير تبارك وتعالى.

فالإثبات لا ينافي التنزيه؛ لأن كثيرًا من أهل الفرق النارية إنما دفعهم إلى التعطيل والتأويل قد زعموا التنزيه، أنهم ينزهون الله تبارك وتعالى عن المعاني المتضمَنة في هذه الصفات.

ويقولون: أنك بمجرد إثبات المشترك اللفظي ذلك؛ فإنك بهذا تشبهه بخلقه.

فنقول: لا، هذا عقلك المريض الذي صور لك ذلك وإنما الحكم على الصفات فرع عن الحكم على الذات، والكلام عن الصفات فرع عن الكلام عن الذات.

فإذا قلت هذا يد جمل وهذه يد نملة، فلا شك أن يد الجمل مختلفة عن يد النملة.

تقول: لماذا، فهذه يد وهذه يد!

نقول: نعم، ولكن هذه ذات جمل وهذه ذات نملة فاختلفت اليدان، فهذا مخلوق ومخلوق، فما بالك حين تقول هذه يد الخالق ! وهذه يد المخلوق، فهذه يد وهذه يد، ولكن شتان فهذه ذات الخالق.

- {لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ} [الشورى:١١].
- {وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [الروم:٢٧].

وهذه يد المخلوق الناقص المحدود الميت، المحكوم على حياته بالنقص والموت والسِنة وغير ذلك، فهذه يد وهذه يد، ولكن يد الخالق ليست كيد المخلوق.

كذلك حياة الله وحياة المخلوق، المخلوق حي والله حي، ولكن حياة المخلوق ناقصة ليست كحياة الله، وهذا لا ينكره حتى الأشاعرة.

كذلك الوجود، كذلك القدرة، كذلك الإرادة، كل هذه مشتركات لفظية فأنتم لا تنكرونها وتقول إرادته ليست كإرادتي، وقدرته ليست قدرته، ووجوده ليس وجودي، وحياته ليس حياتي، إذا يده ليست كيدك، وقدمه ليست كقدمك، وساقه ليست كساقك، ونزوله ليس كنزولك، وأصابعه ليست أصابعك، وإتيانه ليس كإتيانك، وكلامه ليس ككلامك، فما المشكلة إذًا؟!

وهذه هي الطريقة التي استدل بها شيخ الإسلام في الرسالة التدميرية على بطلان عقائد الشاعرة.

قال: "{إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا} [النساء: ٥٨]

إذًا أثبت لله تبارك وتعالى السمع والبصر كما يليق بجلاله وكماله.

والسمع: إدراك المسموعات.

والبصر: إدراك المرئيات والمبصرات.

والله تبارك وتعالى قد أثبت لنفسه السمع: {قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا وَتَشۡتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسۡمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ} [المجادلة:١].

{إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ} [غافر:٢٠].

كذلك الله تبارك وتعالى يرى: {إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ} [طه:٤٦].

ففيه إثبات هذه الصفة -أو هاتين الصفتين- على الوجه اللائق بالله تبارك وتعالى.

وقوله: {وَلَوۡلَآ إِذۡ دَخَلۡتَ جَنَّتَكَ قُلۡتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ} [الكهف:٣٩]

ففيه إثبات المشيئة لله تبارك وتعالى، وكذلك إثبات القوة لله تبارك وتعالى.

وقوله : {وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقۡتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخۡتَلَفُواْ فَمِنۡهُم مَّنۡ ءَامَنَ وَمِنۡهُم مَّن كَفَرَۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقۡتَتَلُواْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ} [البقرة:٢٥٣]

فهو تبارك وتعالى يفعل ما يشاء تبارك وتعالى، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وهذه المشيئة صفة ثابتة لله تبارك وتعالى، وكذلك الإرادة صفة ثابتة لله تبارك وتعالى.

والإرادة في القرآن تنقسم إلى إرادة كونية وإرادة الشرعية :

والإرادة الكونية: هي ما تتعلق ما يوجد كونًا، أحبه الله أم أبغضه.

والإرادة الشرعية: هي قد توجد وقد لا توجد، وهي متعلقة بما شرع الله تبارك وتعالى وأمر به وأحبه.

لذلك الإرادة الكونية تكون مرادفة للمشيئة؛ لأن ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن.

أما الإرادة الشرعية: فهي بمعنى شرع وأمر، فقد تقترن الإرادة الشرعية بإرادة كونية فتقع من المؤمنين.

وقد تفارقها فيفارق الكافر الإرادة الشرعية وطوى ويكون كفره فقط وعصيانه بالإرادة الكونية، ولكن لا يخرج أحد عن مشيئة الله أي عن إرادته الكونية.

فالكل فيها لا يخرج عنها، التي تفارقهم هي الإرادة الشرعية.

قوله تبارك وتعالى: {أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ} [المائدة:١] هذه الإرادة الشرعية، بخلاف التي ذُكِرَت في الآية السابقة: {وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ} [البقرة:٢٥٣] فهذه هي الإرادة الكونية.

لماذا؟

- لأن بها وقع الاقتتال، والاقتتال أمر لا يحبه الله تبارك وتعالى.

{وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُواْ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُواْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ} [البقرة:٢٥٣] وقع ذلك بإرادته الكونية ومشيئته.

أما {إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ} [المائدة:١] فهذه الإرادة الشرعية، قد تقع ويشاء الله أن تقع، وقد يشاء الله ألا تقع.

أي قد تقع في بعض أعيان الناس بتطبيق ما أمر الله به شرعًا، وقد لا تقع في بعض الناس بعصيانهم ما أمر الله به شرعًا.

قال تعالى: {فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ} هذا أراد الله هدايته إرادة شرعية وإرادة كونية وشرح صدره للإسلام، وهذا {وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ} إذًا هذه لا شك أنها إرادة كونية فقط؛ لأنها لا تكون فيها إرادة شرعية ولا يحب الله ذلك {يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ} [الأنعام:١٢٥].

وقوله : {وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ} [البقرة:١٩٥]

إثبات لله صفة الحب، وهي صفة فعلية لله متعلقة بالقدرة والمشيئة، ومن أفضل صفات الأفعال.

والله تبارك وتعالى يحب ويبغض، ويرضى ويسخط تبارك وتعالى، وهو يحب المحسنين تبارك وتعالى ولا يحب المفسدين، ولا يحب الظالمين، ولا يحب الفاسقين.

ويحب المؤمنين، ويحب المتقين، ويحب المحسنين، ويحب المقسطين، ويحب المتطهرين.

وليس فقط الحب هنا الذي قد ينكره بعض المعطلة المؤولة ويقولون: "هي إرادة الثواب فقط".

بل الحب ثابت لله كما يليق بجلاله وكماله، وليس كالحب لمخلوق من المخلوق الذي قد يكون ضعفًا وأسرًا وتعلقًا.

- {وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ} [النحل:٦٠]

فالله تبارك وتعالى هو الودود الذي يحب ويُحَب، كما قال الإمام البخاري: "والله تبارك وتعالى يحب عبده، بل ويتخذ من عبيده خليلًا : كمحمد -صلى الله عليه وسلم، وإبراهيم عليه السلام".

والخلة: هي شدة المحبة، وهي ثابتة لله تبارك وتعالى.

وكان كفر الجعد بن درهم -الذي هو أستاذ الجهم بن صفوان الذي خرجت منه الجهمية- أنه قال: "لم يكلم الله موسى تكليمًا، ولم يتخذ إبراهيم خليلًا"، فأنكر صريح القرآن؛ فهذا كفر مجرد.

- وهؤلاء الذين أنكروا الأسماء والصفات: هم الجهمية.
- بخلاف المعتزلة: أثبتوا الأسماء وأنكروا -أو عطلوا- الصفات.
- والأشاعرة: أثبتوا بعض الصفات وأوَّلوا بعضها.

قال : {وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ} [البقرة:١٩٥].

- {وَأَقْسِطُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ} [الحجرات:٩].
- {فَمَا ٱسْتَقَٰمُواْ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُواْ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ} [التوبة:٧].
- {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ} [البقرة:٢٢٢].
- {فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ} [المائدة:٥٤].
- {إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ} [الصف:٤].
- {قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} [آل عمران:٣١].

إذًا الله تبارك وتعالى يحب ويُحَب تبارك وتعالى.

- "وما يَزالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إلَيَّ بالنَّوافِلِ حتَّى أُحِبَّهُ، فإذا أحْبَبْتُهُ، كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذي يَسْمَعُ به، وبَصَرَهُ الَّذي يُبْصِرُ به، ويَدَهُ الَّتي يَبْطِشُ بها، ورِجْلَهُ الَّتي يَمْشِي بها، وإنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، ولَئِنِ اسْتَعاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وما تَرَدَّدْتُ عن شَيءٍ أنا فاعِلُهُ تَرَدُّدِي عن نَفْسِ المُؤْمِنِ؛ يَكْرَهُ المَوْتَ، وأنا أكْرَهُ مَساءَتَهُ" [صحيح البخاري].

فالتردد في حق الله تبارك وتعالى هو اجتماع إرادتين، وليس كالتردد في حق المخلوق الذي يتردد من أجل أنه لا يعلم العاقبة، لكن الله هو العالم العليم العلام تبارك وتعالى.

والتردد هنا اجتماع الإرادتين، والله تبارك وتعالى ينفذ ما أراد تبارك وتعالى، ما فيه الخير والحكمة والرحمة والعدل والمصلحة وهو يعلم تبارك وتعالى كل شيء.

قال: {فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْۗ}

والغفران -كما سيأتي- هو: الستر والمحو وإزالة الآثار إذا ذكر مفردًا وإيصال الخير أيضًا للعبد.

أما إن ذكر مع العفو والرحمة؛ فتكون الرحمة: هي إيصال الخير، والعفو: هو إزالة آثار المعصية، والغفران: هو الستر.

وقوله تعالى: {رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ} [التوبة:١٠٠].

والرضا أيضًا صفة ثابتة لله تبارك وتعالى، كما سيأتي أيضًا الضحك -وإن كان هو من آثار الرضا، لكنه ليس الرضا وإنما هو صفة ثابتة لله تبارك وتعالى، وهو من آثار الرضا؛ فرضي الله عنهم ورضوا عنه.

فالرضا صفة ثابتة لله تبارك وتعالى.

وكذلك -كما سيأتي- العجب: "إنَّ اللهَ لَيَعجَبُ مِنَ الشابِّ ليست له صَبْوةٌ".

كذلك {بَلۡ عَجِبۡتَ وَيَسۡخَرُونَ} [الصافات:١٢] أنه قرأها بعضهم: {بَلۡ عَجِبۡتُ وَيَسۡخَرُونَ}، فالعجب والرضا ثابتان لله تبارك وتعالى.

وقوله : {بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ} [الفاتحة:١]

أي أفتتح هذه القراءة والتلاوة بسم الله عز وجل.

**والله**: -كما ذكرنا- أنه هو الإله، وحذفت الهمزة وأدغمت اللامان فأصبحت الله.

**والرحمن**: ذو الواسعة الشاملة التي شملت البر والفاجر، والمؤمن والكافر.

ولا يوصف بالرحمن إلا الله تبارك وتعالى، وهي على وزن فعلان -صيغة الامتلاء و صيغة المبالغة في هذا.

وكذلك هي صفة ذات لا تنفك عن الله عز وجل.

**أما الرحيم**: فهي صفة فعل، وهي متعلقة بالمرحوم، وهي رحمة خاصة بعباده المؤمنين، يدلهم عليه ويعرفهم به.

فقد يوصف به بعض المخلوقين -كما قال الله عن النبي محمد: {بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ} [التوبة:١٢٨]

قال: {رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا} [غافر:٧]

حقيقة الرحمة هي: إيصال الخير والبر للمرحوم. الله تبارك وتعالى وسع كل شيء رحمة وعلمًا.

رحمة: لإيجاده.

وعلمًا: بتفاصيله.

{أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ} [الملك:١٤]

فالخلق نفسه -إيجادك من العدم نفسه- رحمة منه تبارك وتعالى، ثم لا شك أن من خلق يعلم {أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ} [الملك:١٤]

قال : {وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا} [الأحزاب:٤٣]

وقد ذكرنا هذه الرحمة الخاصة -رحمة خاصة بعباده المؤمنين.

وقال تعالى: {كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ} [الأنعام:٥٤]

هو كتب على نفسه الرحمة، وضمن في كتاب كتبه و-هو عنده فوق العرش- أن رحمته تغلب غضبه: أي من يرحم بالرحمة أكثر ممن يعذب بالغضب والعذاب.

وليس معنى هذا أن الغضب يفنى أو أن الغضب المخلوق يفنى -أي النار-، بل الغلبة هنا أن رحمته تغلب غضبه أو تسبق غضبه: أي أن من يرحم بالرحمة أكثر ممن يعذب بالعذاب مع بقاء العذاب؛ فإن هذا صريح القرآن:

- {إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا} [النساء:١٦٩].
- {لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ} [الزخرف:٧٥].

وهذا لا شك من الرحمة بالمؤمنين الذين يشتفوا بذلك:

- {وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ} [الصافات:٥٧]
- {وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ} [الأعراف:٤٣]
- {فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * هَٰذِهِ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ * يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ} [الرحمن:٤٢-٤٤].

فإرسال الرسل رحمة، وإنزال الكتب رحمة، وهداية من شاء رحمة، وإضلال من شاء رحمة، وخلق الجنة رحمة، وخلق النار رحمة، وخلق السماوات والأرض رحمة من الله تبارك وتعالى.

ولذلك "الرحمن" هذه السورة التي قامت على هذا الاسم:

{تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ} [الرحمن:٧٨]

هذا هو الاسم "تبارك": أي كثرت بركته وخيره، وهو اسم الله الرحمن الذي به قامت السماوات والأرض، وبه قامت الدنيا والآخرة، وبه أرسل الرسل، وأنزل الكتب، وبه افترق الناس فريقين: فريق في الجنة وفريق في السعير، فهو يستحق الحمد على ذلك.

- {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ} [الأنعام:١].
- {وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [الزمر:٧٥].

- {كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ} [الأنعام:٥٤]

خلقها مائة جزء، أنزل منها في الدنيا جزءًا واحدًا بها يتراحم الخلائق وبها ترفع الدابة حافرها عن ولدها مخافة أن تصيبه، وادخر تسعة وتسعين جزءًا ليوم القيامة.

- قال ﷺ: "لَلَّهُ أرْحَمُ بعِبَادِهِ مِن هذِه بوَلَدِهَا" [صحيح البخاري].

- قال : {وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ} [النحل:٦٠]

العزيز: هو الذي لا يغالب، الغالب على أمره وهو بمعنى الملك والغلبة والسيطرة، هو العزيز عز وجل.

الحكيم: الذي يضع الشيء في موضعه.

وكثيرًا ما يقترن العزة والحكمة؛ لأن هذا هو كمال الملك، والحكمة هي كمال الحمد، والعزة هي كمال الملك لا يخرج عن ملكه وسلطانه شيء ولا أحد.

والحكمة: هي وضع الشيء في موضعه مع ملكه عز وجل وسيطرته تبارك وتعالى.

- {أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ} [الطور:٣٧]

هو المصيطر تبارك وتعالى على كل ذرة في العوالم والأكوان، والسماوات والأرض، فإنه {لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا} تبارك وتعالى [النساء:٤٠].

فهو يستحق الحمد على حكمته عز وجل.

- {فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ} وفي قراءة: {فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حِفۡظٗا} [يوسف:٦٤].
- {وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ} [البقرة:٢٥٥].
- "احفَظِ اللهَ يَحفَظْكَ" [صحيح الترمذي].
- {وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ} [يوسف:٩٢] تبارك وتعالى.

وهذا هو معنى المثل الأعلى في كل الأسماء والصفات أي ذروة الكمال في كل اسم من أسمائه الحسنى، فهو ليس معنى الله أكبر فقط أن له الكبرياء، بل هو الله له المثل الأعلى في كل أسمائه وصفاته.

فهو تبارك وتعالى أحسن الخالقين، وخير الراحمين، وخير الرازقين تبارك وتعالى.

وله المثل الأعلى في كل اسم من أسمائه وصفاته أي ذروة الكمال والجمال والجلال، ومنافاة مشابهة المخلوقين والتنزه عن جميع العيوب والنقائص.

فكما أنه يرضى ويحب، ويغفر ويعفو ويرحم، فكذلك ويسخط.

وقوله: {وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدٗا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمٗا} [النساء:٩٣]

إذًا الله يغضب تبارك وتعالى.

{فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا} ويأسف أي بمعنى الغضب، {ٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ} [الزخرف:٥٥].

ويبطش: {يَوۡمَ نَبۡطِشُ ٱلۡبَطۡشَةَ ٱلۡكُبۡرَىٰٓۚ إِنَّا مُنتَقِمُونَ} [الدخان:١٦] ، وينتقم تبارك وتعالى.

ويلعن: أن يطرد عن رحمته تبارك وتعالى.

وقوله: {ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ} [محمد:٢٨]ويسخط تبارك وتعالى.

ويكره: {وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ فَثَبَّطَهُمۡ وَقِيلَ ٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ} [التوبة:٤٦].

{وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ} [محمد:٢٨].

{فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ} [الزخرف:٥٥] أي أغضبونا، فهو تبارك وتعالى يغضب ويعاقب تبارك وتعالى.

{وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ فَثَبَّطَهُمۡ}: وهذه الكراهية إرادة كونية لا شك؛ لأنها ليست متعلقة بما يحبه وإنما شاملة لما يحبه ويبغضه، {فَثَبَّطَهُمۡ}: كونًا، {وَقِيلَ ٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ} قال ذلك كونًا، وإن كان شرع لهم عدم التخلف عن النبي ﷺ.

وقوله: {كَبُرَ مَقۡتًا} [غافر:٣٥]

إذًا الله تبارك وتعالى يمقت ذلك، أن تقولوا ما لا تفعلون.

وقوله: {هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ} [البقرة:٢١٠]

إذًا هو يأتي، وليس إتيانه كإتيان المخلوق.

- {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الشورى:١١].
- {هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ يَأۡتِيَ رَبُّكَ أَوۡ يَأۡتِيَ بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَۗ يَوۡمَ يَأۡتِي بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفۡسًا إِيمَٰنُهَا لَمۡ تَكُنۡ ءَامَنَتۡ مِن قَبۡلُ أَوۡ كَسَبَتۡ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيۡرٗاۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ} [الأنعام:١٥٨]
- {كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا * وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا} [الفجر:٢١-٢٢].

إذًا هو يأتي ويتكلم بحرف وصوت، وينادي ويناجي ويقول ويحدث.

- {وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا} [النساء:١٢٢].
- {وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا} [النساء:٨٧].

تبارك وتعالى، وهو يأتي ويجيء -كما ذكرنا-، وينزل كما ما يليق بجلاله وكماله تبارك وتعالى في السماء الدنيا في الثلث الأخير من الليل، وكذلك يوم عرفة كما يليق بجلاله وكماله، ولا يخلو منه العرش.

- {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الشورى:١١].

فهو نزول ليس كنزول المخلوقين، ولا أن يخلو منه مكان في مكان آخر -هذا في حق المخلوق، وهذا الذي توهمه المعطلة والمؤولة فأنكروه بزعم التنزيه، ولكن هذا في حق المخلوق. أنت الذي تخيلت ذلك.

ولذلك يسميهم شيخ الإسلام: أهل التخييل، الخيال الباطل الذي أدى بهم إلى التعطيل، أدى بهم إلى التحريف، أدى بهم إلى التبديل.

قال: {وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا} [الفرقان:٢٥]

وهذا يدل على علوه، أنهم ينزلون من علو وهم في السماء؛ فتشقق السماء وتنزل الملائكة.

السماء أي: ما أعلاه.

{أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ} [الملك:١٦]: أي فوق السماء.

أو في السماء: بمعنى في العلو، بمعنى مصدر، فالسمو بمعنى العلو.

فالله عليّ أعلى له علو الذات، علوالشأن، وعلو القهر.

وقوله: {وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ} [الرحمن:٢٧]

إثبات لله الوجه كما يليق بجلاله وكماله، وليس الوجه هو الذات -كما يؤوله بعضهم- وإنما الوجه صفة لله تبارك وتعالى. وليس معنى هذا أننا نقول بالتبعيض، بل نثبت لله تبارك وتعالى أسمائه وصفاته تبارك وتعالى الخبرية -كما ورد من غير خوض في التكييف على وفق ما يتخيله، ومن غير خوض في الكيفية، فالكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة.

- {وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ} [الرحمن:٢٧]
- "أعوذُ بالله العظيمِ، وبوجهه الكريمِ، وسلطانِه القديمِ، من الشيطانِ الرجيمِ" [صحيح الترغيب]

إذًا "الله العظيم": هذا ذاته عز وجل.

"وسلطانه القديم ووجهه الكريم": فهذا كله صفة من صفاته عز وجل، سواء كان صفة خبرية ذاتية لله، أو صفة فعلية في سلطانه بملكه تبارك وتعالى، فهو يملك وله الملك.

- قال: {كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ} [القصص:٨٨].
- وقوله: {مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ} [ص:٧٥] هو إثبات اليدين لله.
- {بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ} [المائدة:٦٤].
- "يَدُ اللَّهِ مَلْأَى، لا تَغِيضُها نَفَقَةٌ، سَحَّاءُ اللَّيْلَ والنَّهارَ. وقالَ: أرَأَيْتُمْ ما أنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّماءَ والأرْضَ؟! فإنَّه لَمْ يَغِضْ ما في يَدِهِ، وكانَ عَرْشُهُ علَى الماءِ، وبِيَدِهِ المِيزانُ يَخْفِضُ ويَرْفَعُ" [صحيح البخاري] فهو يداه مبسوطتان.

فمعنى {بِيَدَيّ} هنا: أنه خلق آدم بيديه، وذلك لا يجوز أن يكون بنعمتيه؛ لأن في لغة العرب اليد لا تثنى إذا كانت بمعنى النعمة.

إما أن تقول: لك عليَّ يد، أو لك عليَّ أيادٍ، ولا يقال: لك عليَّ يدان، لا يقال هذا.

وهذا من الأمور التي يفهم بها القرآن؛ لأنه نزل بلغة العرب المخاطب بهم في هذا العصر؛ فهذا لا يقال.

فضلًا عن الإثبات الواضح في أكثر من موطن.

- {بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ} [المائدة:٦٤].

لا تؤول إلى: "بل نعمتاه مبسوطتان" كيف ذلك؟!

هل هما نعمتان فقط؟!

وبيديه أي بنعمتيه؟! بقدرته!

فكل هذا صرف اللفظ عن ظاهره إلى معنى محتمل مرجوح بغير دليل.

ولذلك ظاهر القرآن ليس كما قالوا: التشويه، بل ظاهر القرآن الإثبات مع التنزيه.

الإثبات للمعاني، مع تنزيهه عن مشابهة المخلوقين، وعن النقائص والعيوب.

- {وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ} [المائدة:٦٤].

قال: {وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا} [الطور:٤٨].

وقوله: {وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ * تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ} [القمر:١٣-١٤].

وقال: {وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي} [طه:٣٩].

إذًا هو هنا أثبت الأعين، وأثبت العين.

فهنا مع قوله ﷺ عن المسيح الدجال: "ألا إنه أَعْوَرُ، وإنَّ ربَّكم ليس بأعْوَرَ" [أخرجه البخاري].

ففهم من ذلك وثبت بالإجماع: أن لله عينان كما يليق بجلاله وكماله تبارك ليس كمثله شيء هو السميع البصير.

وقوله عز وجل: {قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ} [المجادلة:١]

هنا إثبات السمع لله تبارك وتعالى كما يليق بجلاله وكماله.

كيفية هذا السمع، كيف يسمع كل هذه الأصوات مع تفنن المعلومات، والأصوات، واللغات، والخلائق؟

الجواب: الكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة.

- فهو فوق ما تطيقه العقول.
- {لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ ۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا} [آل عمران:١٨١].
- وقوله: {قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ} [طه:٤٦].
- قال تعالى: {أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ} [الزخرف:٨٠]
- وقوله تعالى: {أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ} [العلق:١٤]
- وقوله تعالى: {ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ} [الشعراء:٢١٨-٢١٩]

- وقوله تعالى {وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ} [التوبة:١٠٥].

إذًا الله يرى ويسمع ويعلم، ويرضى ويغضب ويحب، وهو تبارك وتعالى يسخط ويمقت ويكره، هو يأتي ويجيء، وينزل نزولًا يليق به تبارك وتعالى.

كل هذا على وفق ما يليق بالله تبارك وتعالى بجلاله وجماله وكماله ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

ونقف عند قوله تعالى: {وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ} [الرعد:١٣].

أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم.